124300 ـ شكوى على والدها الملتزم أنه يسيء إلى أهل بيته ويحسن للزوجة الثانية !

السؤال

سؤالي عن الأب الذي يهمل أولاده وبيته ، ويبخل عليهم بكل شيء ، وكلما طلبنا منه شيئاً قال : " ليس لديَّ مال ، ما عندي شيء " ، وبيته متهالك ، وقديم ، ويحتاج إلى تجديد ، بالإضافة إلى سوء حالة الأثاث ، وحتى ثياب أبنائه رثة ، ورخيصة ، وكلما طلبوا منه شيئاً يقول : " ثوب واحد يكفي ، الإسراف حرام ، وأنا مش جالس على بنك " ، والأكل يتركهم يطبخون الأرز بدون إيدام ، وإذا جاءه الضيوف ذبح ، ووضع كل أنواع الأكل للضيوف ! وأولاده وبيته يحرِّم عليهم الأكل الطيب ، ويشك في بناته مع أنهن عفيفات ، وشريفات ، ويفتش في أغراضهن ، وجوالاتهن ، وحتى أم عياله لا يحترمها ، ولا يقدرها ، وحارمها من أهلها ، حتى إن أمها ، وأباها توفوا ولم ترهم ! والمصيبة أن الأب مطوَّع (ملتزم) ! ويعتكف في المساجد ، ويقيم حلقات الذِّكر في المساجد ، لكن خارج البيت يضحك ، ويسولف ، ودمه خفيف ، وعندما يدخل البيت ينكِّد على أهل بيته ، ويغثهم بكلامه الجارح ، ومعاملته السيئة ، وفوق هذا كله تزوج الثانية ، وبنى لها بيتاً كبيراً جدّاً ـ 3 طوابق ـ ، وديكور ، وأثاث ، ولو ترى بيت زوجته الأولى تقول : بيت فقراء ، أنا الذي يقهرني أنه مقتدر ، وعنده المال ، ويبخل علينا ، أنا مقهورة على كل السنين التي راحت ، وهو يلبسنا أرخص ملابس ، ونعيش في بيت حالته سيئة جدّاً ، وكأنه بيت إنسان فقير ومحتاج ، ولما تزوج الثانية عمل لها كل شيء راقي ، لماذا خرجت أمواله الآن عندما تزوج ، ونحن عياله ، وبناته يوم كنَّا نطلب يقول : " ما عندي ، أنتم طلباتكم ما تخلص ، أزعجتوني ، لا تطلبون مني شيئاً ، أنا مش جالس على بنك " ، والله ـ يا شيخ ـ أني كرهت أهل المساجد ! والملتزمين ! بسببه ، وأحس أنهم كلهم ظالمون ، ومنافقون مثله ، وحتى إنني في بعض المرات لا أصلي ، وأقول : " يا رب نحن عمرنا ما عملنا شيئاً يغضبك ، ونعيش صح ، ونخاف الله ، وهذا حالنا ؟ والناس العاصون والذين ما يخافون الله مرتاحون في حياتهم ؟ " حتى أبي كرهته ، وعرفت أنه ما يحبنا ، ومعيِّشنا طول عمرنا في حاجه للناس حتى أيام المدرسة كانت أمي تطلب ملابس وقمصان بنت الجيران القديمة لنلبسها ؛ لأن أبي ما يشتري لنا ، الآن ما أسلم عليه ، ولا أقبِّل رأسه مثل الأول ، وأكلمه بجفاء ، ولا أجلس معه لأني أحس أنه ما يحبنا ، ويكرهنا . أرجوك تقرأ موضوعي كله ، وتقول لي كيف أتصرف لأن نفسيتي تعبت ، وما أعرف كيف أتصرف ، وجزاك الله خيراً .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

إن ما يراه المسلم من تصرفات بعض الملتزمين لا ينبغي أن ينعكس عليه هو ، ويؤثر في دينه واستقامته ؛ لأن كل بني آدم خطَّاء ، وعلى المسلم أن يساهم في تكثير النماذج الطيبة الصالحة في هذه الطائفة من الناس ، لا أن يتخلى عنهم ، ويتتبع

عوراتهم ، وينشر نقائصهم ، وهذا غاية ما يحرص عليه أبالسة الإنس والجن ، عندما يشيعون تصرفات بعض الملتزمين السيئة ، سواء كانت صحيحة في أصلها ، أو هي عليهم مفتراة : أن يصدوا الناس بذلك عن دين الله عز وجل ، وأن يجعلوهم فتنة لغيرهم .

ثانيا :

كما نحذر السائلة – وغيرها – من التسخط على قدر الله ، والطعن في حكمته تعالى ، ففي سؤالها جملة يُفهم من ظاهرها الاعتراض على الله في تقديره ، والطعن في حكمته عز وجل ، فهي تظن أن المسلم إن كان يخشى ربه ، ويتقيه أنه سيعيش أبد عمره في سعادة ، وهناء ، وأن حال الشقاء والهموم والغموم إنما هي من نصيب العصاة ! وهذا ليس بصحيح شرعاً ، ولا هو واقع فعلاً ، قال تعالى : (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلاَّ) الفجر/ 15 – 17 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ـ :

بيَّن سبحانه أنه ليس كل مَن ابتلاه في الدنيا يكون قد أهانه ، بل هو يبتلي عبده بالسراء والضراء ، فالمؤمن يكون صبَّاراً شكوراً ، فيكون هذا ، وهذا : خيراً له ، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) .

" مجموع الفتاوى " (8 / 75) . فالابتلاء للطائعين يحصل كثيراً ، وكثيراً ما يُعاقب العصاة بضيق صدر ، وبهموم وغموم ، فضلاً عن العقوبات في أبدانهم .

والمسلم يعلم أنه قد يفتن في دنياه ، قال تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ .وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) العنكبوت/ 2،3 .

والمسلم يعلم أنه يتقلب بين السراء والضرَّاء ، فعَنْ صُهَيْبٍ الرُّومي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم (2999) .

فلا عجب بعد أن يعلم المسلم هذا أن يصيبه الله بضرٍّ ، أو يعرضه لفتنة ، وفي كل ذلك حكَم لله جليلة ، ومصالح للمسلم عظيمة .

ثم كيف تغير السائلة معاملتها مع والدها إلى السيء ، وتكره المصلين في المساجد ، وتترك الصلاة أحياناً : ثم ترى أنها تستحق النعيم ، والسعادة في حياتها ؟ بل وتقول " : " يا رب نحن عمرنا ما عملنا شيئاً يغضبك ، ونعيش صح ، ونخاف الله ، وهذا حالنا ؟ والناس العاصون والذين ما يخافون الله مرتاحون في حياتهم ؟ " فأين الصح مع هذه المعاصي ، وهي تدور بين كونها كبائر ، وكفراً مخرج من الملة ؟! .

فإنك إن كنتِ محسنة في فعالك : كان ما يصيبكم ابتلاء من الله ، فعليكم الصبر ، وإن كنتِ مسيئة مع الناس ومع الله : كان ما أصابك عقوبة من الله على ذلك ، فاتركي تلك المعاصي ، وأقبلي على الطاعات ، واعلمي أن الله تعالى لا يقدّر شيئاً إلا لحكمة بالغة .

ثالثا :

ما ذكرته السائلة عن والدها إن صحَّ عنه : فهو في غاية السوء ، وإن عليه أن يتوب منه ، وأن يصلح ما بينه وبين ربِّه ، وإن عليه أن يعطي كل ذي حقٍّ حقَّه ، فيعدل بين زوجتيه – وينظر في العدل الواجب عليه جواب السؤال رقم : (10091) ـ ، وينفق على أهل بيته بالمعروف ، فلا يسرف ، ولا يقتِّر ، وعليه أن يتقي الله في اتهامه بناته بما ليس فيهن ، وما يفعله من مخالفات ليس بين أحدٍ من أهل الإسلام فيها اختلاف ، بل كلها معاصٍ متفق على قبحها ، وسوئها ، وتعريض صاحبها لوعيد الله تعالى .

وعليكِ أنتِ أن تصبري على بخل والدك ، وأذيته ، وسوء فعاله ، وعليك مداومة تذكيره بما أوجب الله عليه من تحمل الأمانة ، ومن العناية والرعاية بأهل بيته ، وعليكم نصحه بأن لا يكون ذا وجهين ، وأن أهله أولى من غيرهم أن يتبسط معهم ، ويُسعدهم ، وإن استمر على عدم تغيير حاله للأفضل : فيمكنكم تكليم شيوخه ، وعقلاء أصدقائه في الدعوة ، لينصحوه ، ويوجهوه نحو الأفضل في التعامل مع أهل بيته ، ومثل هؤلاء قد عُرف عنهم حسن التعامل مع الناس ، والصبر على أذيتهم ، بل وضررهم ، فالطريق إلى قلوبهم ، وعقولهم : سهل ، ويسير ، ويُرجى أن يكون نافعاً فيهم أكثر من غيرهم .

واعلمي أن لأبيك عليك حقّاً في الاحترام ، والتقدير ، وإن أساء إليكم ما أساء ؛ فمن عصى الله فيك ، وأساء إليك ، فأطيعي الله ـ أنت ـ فيه ، وأحسني إليه ، كما قال الله تعالى : (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت /34 ؛ فكيف إذا كان هذا المسيء بينك وبينه رحم ؟ فكيف إذا كان أباك ؟ واستعيني بالله تعالى ربكم ، بطاعته ، ودعائه ، أن يهديه ، ويصلح باله ، ويوفقه ، وأن يجمع بينكم جميعاً على طاعة ، وخير .

والله أعلم